

آثار اللغة العربية في ولاية تامل نادو

د/ ك.م.أ. أحمد زبير

أستاذ مساعد، قسم العربية، الكلية الجديدة، شنائ، تامل ناد
Email: arabic.zubair@gmail.com

ولاية تامل نادو هي إحدى الولايات الشهيرة التاريخية الواقعة في جنوب الهند. تقع تامل نادو في أقصى جنوب الهند و مساحتها 133038 كيلومتر مربع ويحدها شرقاً خليج "البنغال" وغرباً ولاية "كيرالا" وشمالاً ولايتا "أندهرا براديش" و "كرناتكا" وجنوباً بلاد "سريلانكا" والمحيط الهندي. إن التاريخ يشهد صريحا كل الصراحة على الروابط والعلاقات وثيقة بين العرب والهنود منذ أقدم العصور. لقد كانت هناك روابط وعلاقات شتى بين العرب والهند منذ أقدم العصور حتى عصر النبي صلى الله عليه وسلم في التجارة و المعيشة و الديانة.

وكانت العلاقة الأخوية والصلة الودية بين العرب وأهل تامل نادو وثيقة منذ زمن بعيد جدا حتى قبل المسيح عليه السلام. وإن جمالها وجمال مناظرها الطبيعية أعجب العرب إعجابا كبيرا. وكانوا يجلبون منتجات تامل نادو لا سيما الفلفل الزنجبيل القرنفل العود والمسك واللؤلؤ والياقوت والمرجان. إلى بلاد بعيدة. مثل اليمن والشام وتزوجوا بنساء تامل نادو و توطن بعضهم في المناطق الساحلية. وامتزجت ثقافتهم وحضارتهم بتقاليد تامل نادو وعاداتها. حتى صارت جزءاً لا يستهان به في ثقافتهم. ولاية تامل نادو أول ولاية وطأتها أقدام العرب. وتشرفت بدخول الإسلام لقد دخل الإسلام ولاية تامل نادو في عهد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم. إن السكان والحكام استقبلوا العرب استقبالا حاراً و صاروا يعتنقون الإسلام ويفتخرون به. لقد أثرت اللغة العربية في مواطني تامل نادو تأثيراً عميقاً واسع النطاق كما أثرت في لغات أخرى من لغات الهند. توغلت اللغة العربية في تامل نادو و ترعرعت في تربيتها

الخصبة. إن العلاقة بين أهل تامل نادو و تجار العرب فتحت أفاقاً جديدة لتبادل الأفكار والخواطر وتفاهم الثقافات واللغات. اعتبرت اللغة العربية قبل قدوم الإسلام لغة تجارية بين الشعبين و نالت قبولاً حسناً. نعرف من "منحة سرنديب في مولد الحبيب" للسيد محمد الإمام العروس عن زيارات العرب لتامل نادوا وسرنديب في العصر الجاهلي. وهذه الزيارات لغرض التجارة مع أهل تامل نادو. شعبا الولاية والعرب مشهوران بالتجارة على مستوى عالمي.

يقول المفكر الإسلامي والأديب العربي سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي رحمه الله : "من مظاهر تأثير المسلمين في ثقافة الهند و حضارتها تأثير اللغة العربية. التي تخصصهم والتي حملوها إلى هذه البلاد في لغات الهند ولهجاتها وأدبها وحضارتها وللمسلمين في جنوب الهند - مدراس وكيرالا وبلاد مليبار. نشاط كبير في نشر التعليم الديني والمدني وتأسيس المدارس الدينية العربية والكليات الإسلامية.(1)

بدأ ظهور الإسلام أولاً في القرى و المدن الساحلية لولاية تامل نادو ثم انتشر الإسلام من الأماكن الساحلية إلى الأماكن غير الساحلية في هذه الولاية. وبنى المسلمون في تامل نادو المساجد والمدارس و المعاهد الإسلامية في أماكنهم. يظن بعض مؤرخي الهند أن الإسلام جاء إلى الهند بعد غزو محمد بن القاسم الثقفي الذي أرسله الحجاج بن يوسف الثقفي لفتح السند في شمال الهند سنة 92 هـ / 712م أو بعد عدة غزوات لمحمود الغزنوي الهند. وهذه الآراء ليست بصحيحة و لا توجد دلائل مناسبة لهذه الآراء الباطلة. والصحيح أنه دخل المناطق الساحلية الجنوبية الهندية قبل قرن أو أكثر لهذه الغزوات وكان الإسلام موجوداً إلى أبعد حد في المناطق الجنوبية الهندية منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم. فكانت العلاقة و الصلة بين العرب و الهند قديمة جداً. إن المؤرخين كتبوا أن سيدنا آدم عليه السلام نزل من الجنة في سرنديب.(2)

أن تميم الداري أتى إلى جنوب الهند وتوفي هناك وقبره يوجد حالياً في قرية "كولم" قريبا بثلاثين كلومترا من مدينة مدراس. وهذه القرية "كولم" على

شاطئ خليج بنغال وهي قرية صغيرة وفيها مسجد على طراز قديم وهذا المسجد يعرف باسم مسجد مالك بن دينار. والناس من كافة أرجاء تامل نادو يقومون بزيارة قبر الشيخ تميم الداري. وهناك روضة أخرى موجودة على شاطئ خليج بنغال يظن أنها روضة عكاشة رضي الله عنه وعلى ساحلها ميناء باسم "محمود بندر". عكاشة رضي الله تعالى عنه هذا هو الذي شارك في غزوة بدر وجاء إلى ولاية تامل نادو لنشر دعوة الإسلام ودفن "محمود بندر" التي غيرها البرتغاليون إلى "بورت نوفي" (Portnova). جاء السلطان سيد إبراهيم الشهيد من المدينة المنورة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم (في منامه) مع الجند لنشر الإسلام في السند في 557هـ/62-1161 م. ولد الشيخ سيد إبراهيم (1135-1199م) بالمدينة المنورة من نسل النبي صلى الله عليه وسلم. جاء إلى الهند الجنوبية في زمن سلطنة "بانديا" سنة 582 هـ/87-1186 م. وأنشا سلطنة إسلامية وعاصمتها "باوتر مانكاباتنم" (Pavithramanicka Pattinam) (تسمى الآن كيركري) وأستشهد السلطان سيد إبراهيم في سنة 595 هـ/1193 م وحكم هذه المنطقة لمدة اثنتي عشرة سنة ونصف. ودفن في "يروادي" وقبره موجود حالياً في هذه القرية. تدل هذه الدلائل على العلاقات الدينية بين العرب وتامل نادو منذ عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعندنا الآثار والأخبار بالتواتر والقرائن. هناك مكان باسم "كولم" (Kovalam) قريب من مدينة تشناني. هذه قرية على شاطئ خليج بنغال قرية صغيرة جدة على الرمل. ففيها مسجد على طرز قديم وهذا المسجد مشهور باسم مسجد مالك بن دينار. دخل وفد من العرب في تامل نادو قبل عصر "جيران بيرومال" (Cheran Perumal) من "مليبار" بطريق "ستيامانغلم" (Sathia Mangalam) وصل في مملكة ملك "جولا" (Chola) احترامهم الحكام واستقبلوهم. حينما نزور "نظهرنكر" (Nath har Nagar) المعروف "بترشناقلي" (Tiruchirapalli). نجد مسجداً صغيراً قريباً من محطة "القطار قلعة" (Fort Railway Station). كتب في لوحته التأسيسية اسم الشخص

الذي بناه المدعو حاجي أنور الدين بن حاجي عبد الله وهذا المسجد بنى في السنة 738م أي 114هـ. هذا المسجد هو أول المساجد في الهند وأقدمها حتى قبل مسجد مالك بن دينار. ونجد المساجد في "كايل باتنم" (Kayal Pattinam) ومدينة "مدورائي" (Madurai) كما نرى في السجلات المحفوظة في المتحف الحكومي للكتب و الوثائق في تشنائي أن إخواننا العرب هبطوا على شاطي "كايل باتنم" في القرن التاسع من الميلاد وبنوا هناك ستين مسجدا. ونجد في الدفاتر أن الملك "سونداراباندين" (Sundarapandian) بنى مسجداً في "قاضي محلة" بمدورائي وتبرع ومنح أراضي و"يراغنور" (Viraganoor) لإدارته ولنفقاته. (3)

تشبه أسرة النوائط وأسرة الشيخ صدقة الله أبا من ولاية تامل نادو كأسرة الإمام ولي الله الدهلوي رحمه الله في نشر العلوم الدينية. لقد لعبوا دوراً فعالاً في نشر اللغة العربية في كل الأرجاء. وبذلوا في سبيل ذلك قصارى جهودهم. لقد كانوا من الشخصيات الكبيرة التي أنجبتهم ولاية تامل نادو. وكان لمؤلفاتهم الرائعة صدى عظيم في العالم الإسلامي، ومن مؤلفاتهم :

1. "القصيدة الوترية" للشيخ مادح الرسول صدقة الله أبا (1042 – 1115 هـ) هذه القصيدة تشتمل على 4210 بيتاً.
2. "ميلاد السامي في مدائح النبي التهامي" للشيخ سام شهاب الدين (1045- 1121 هـ).
3. الكتاب "عمدة الحجاج" للشيخ صلاح الدين (1051-1098 هـ) مشهور جداً لأنه يذكر فيه مناسك الحج وكيفية أدائها بالعبارات الجميلة والبسيطة.
4. قصيدة "ألف الألف" و "إلهي كم تبقيني" للشيخ عمرولي (1162-1216 هـ)
5. قصيدة "أحمد الله" للشيخ عبد القادر تكية صاحب الكير (1191-1272 هـ)
6. "القصيدة الشفعية" للشيخ عبد القادر تكية صاحب الصغير (1192 – 1267 هـ) هذه القصيدة تحتوي على 3920 بيتاً.

7. "منحة سرنديب في مدح الحبيب للشيخ سيد محمد الإمام العروس (1232 - 1312 هـ)
8. " العربية و الأردوية و الفارسية في سرنديب و تامل نادو للشيخ الدكتور شعيب عالم حفظه الله. هذا الكتاب يشتمل على 880 صفحة. وهذه الأعمال المذكورة البارزة من مؤلفات علماء أسرة الشيخ صدقة الله أبا.
9. "انباء الأذكيا بتحبيب الطيب و النساء إلى سيد الأنبياء" للشيخ القاضي نظام الدين أحمد الصغير (1113 - 1189 هـ)
10. " النفحة العنبرية في مدحة خير البرية". للشيخ مولانا باقر آغا (1158-1220 هـ)
11. "نثر المرجان في رسم نظم القرآن" للشيخ محمد غوث شرف الملك بهادر (1166-1229 هـ)
12. "أكمل الوسائل لرجال الشمائل" للشيخ عبد الوهاب مدار الأمراء (1208 - 1285 هـ)
13. الأربعين في معجزات سيد المرسلين" للشيخ محمد صبغة الله قاضي بدر الدولة (1211 - 1285 هـ)
14. القصيدة " نفحة الوردة" للشيخ عبد الرافع حفظه الله.
هذه قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وأبيات قصيدته كلها مختومة بحرف "ميم" على طريقة نظم البردة. وهذه الأعمال المذكورة الرائعة من مؤلفات علماء أسرة النوائط و نذكر الآن العلماء الآخرين أيضا الذين قدموا خدماتهم الجليلة لنشر اللغة العربية و من مؤلفاتهم البارزة وهي كما يلي:
1. " فواتح الرحموت" للشيخ عبد العلي " بحر العلوم" (1144 - 1225 هـ) وهذا الكتاب اصدر من مطبعة "نولكشور" (Nawal Kishor) بلكهنوا . وهذا الكتاب يشتمل على 630 صفحة.

2. " الفنائس الارتضوية" للشيخ القاضي ارتضى خان بهادور (1198 – 1270 هـ) يشتمل على 264 صفحة و يتعلق هذا الكتاب بالبلاغة والفصاحة.

3. "Arab Geographers knowledge of South India" للأستاذ الدكتور حسين نينار – (1868 – 1963 م) هو أيضا ترجم تحفة المجاهدين اللغة الانجليزية أيضا.

4. "أعلام النثر والشعر في العصر العربي الحديث" للشيخ محمد يوسف كوكن (1916 – 1990م) في ثلاثة أجزاء. يشتمل الجزء الأول على 407 صفحة والجزء الثاني على 460 صفحة والجزء الثالث على 474 صفحة. هذا الكتاب مشهور في الأدب العربي الحديث ويذكر في كل جزء منه أدباء وشعراء والكتاب العهد العربي الحديث وحياتهم وخدماتهم .

5. " دروس اللغة العربية لغير الناطقين بها " للشيخ الدكتور ف . عبد الرحيم حفظه الله . هذا الكتاب يحتوي على ثلاثة أجزاء . تساعد دروسها الطلاب المبتدئين لتعلم اللغة العربية . تدرس في معظم المدارس والكليات في الهند و خارجها.

6. (Arabic For Beginners) " اللغة العربية للمبتدئين للشيخ الدكتور سيد علي(1939 – 2005 م) . يدرس هذا الكتاب في المدارس والكليات والجامعات في داخل الهند وخارجها و نال إعجابا شديدا من المعلمين والمتعلمين أيضا.

لقد نبغ عدد كبير من العلماء الكرام. برعوا في علوم مختلفة. خاضوا في أعماقها . وأتقنوها فيها إتقاناً . وألفوا فيها كتبا كثيرة . إن مؤلفاتهم ثروة علمية ذات قيمة عظيمة شهد لها العلماء الكرام بالفضل. ولا شك فأن هذه المؤلفات تدل على اهتمام مسلمي تامل نادو باللغة العربية و اعتنائهم بها.

لقد لعبت المدارس العربية في العصر الحديث دوراً هاماً وعظيماً في نشر اللغة العربية و الاهتمام في هذه الولاية. لأن العربية كانت لغة التدريس في معاهد الولاية ونذكر ملامح بعض المدارس العربية التي أنشأت بولاية تامل نادو.

اسم المدرسة	اسم المؤسس	عام التأسيس
مدرسة الباقيات الصالحات بويلور	عبد الوهاب	1301 هـ
المدرسة العربية الجمالية بتشنائي	جمال الدين	1318 هـ
جامعة دار السلام بعمر اباد	كاكا محمد عمر	1343 هـ
جامعة منبع الأنوار بلالبيت	أهل البلد	1281 هـ
المدرسة الفاسية الزاوية بكاييل باتنم	محمد أبوبكر مسكين	1285 هـ
المدرسة العربية منبع العلى بكوئانلور	محمد أبو بكر عالم	1310 هـ
المدرسة المخدومية ببلابتي	مخدوم مريكار	1327 هـ
جامعة مصباح الهدى بنيدور	شاه عبد الكريم	1330 هـ
المدرسة الرحمانية بأدرام باتنم	محمد تمبي	1384 هـ
المدرسة مظاهر العلوم بسيلم	محمد شفيق خان	1278 هـ
المدرسة الرحمانية بكليينور	عبد المجيد	1378 هـ

1382 هـ	عبد السلام	جامعة أنوار العلوم بترشنافلي
1384 هـ	محمد محي الدين شريف	المدرسة العثمانية بميلاباليام
1386 هـ	اماني حضرت	المدرسة إمداد العلوم بكويمبتور
1392 هـ	محمد عبد الله	مدرسة إنعام العلوم بسميابورم
1392 هـ	عبد السلام	دار العلوم يوسفية بدينوتوكل
1295 هـ	الجماعة الإدارية	مدرسة سراج المنير ببودكوتي
1396 هـ	شمس الدين عبد القادر	مدرسة منبع الصلاح بتوتوكودي
1398 هـ	يوسف أنصاري	الجامعة العربية فيض الأنوار بكدينلور
1398 هـ	أهل البلد	جامعة الألفاف الربانية بتتكاسي
1408 هـ	شاه الحميد	جامعة الهام العلوم بإنعام كولتور
1412 هـ	عبد الواحد	الكلية العربية أسوة حسنة ببلبتي
1414 هـ	أهل البلد	المدرسة الإسلامية الرحيمية بتير لندور
1421 هـ	عبد الرحمن	الكلية العربية البخارية بوندلور

اختلفت الألفاظ العربية باللغة التاملية كثيرا والناس من هذه الولاية يظنون أن الألفاظ العربية هي ألفاظ تاملية . ونذكر بعض من هذه الكلمات وهي: " وكيل ، سؤال ، أصل ، نقل ، عطر ، عنبر ، نفر ، شرط، إنعام ، بديل." تسربت اللغة

العربية إلى اللغة التاميلية – اللغة الرسمية لولاية تامل نادو وامتزجت بدمها ولحمها. أصبحت جزءاً لا ينفك عن الألفاظ العربية قد تسربت إلى اللغة التاميلية. وكانت نتيجة تأثير اللغة العربية في اللغة التاميلية أن تتشكل لغة خاصة مستقلة تسمى "عرب التامل" أم "اللغة الأروبية" صارت لغة خاصة للمسلمين في تامل نادو ويكتبون وينشرون فيها. جاء العرب إلى تامل نادو منذ زمن بعيد وسكنوا فيها وتعلموا اللغة التاميلية فهماً وكلاماً ولكن لم يستطيعوا الكتابة بحروفها فعمدوا الكتابة بالحروف العربية فكانوا يكتبون اللغة التاميلية بالحروف العربية وسموا هذه اللغة "عرب التامل" الاختلاط بين هاتين اللغتين يشير إلى أن ناطقي اللغتين العربية والتاميلية اختلطوا وسكنوا معا وتعاشروا كالأخوان وتعاملوا كأفراد أسرة واحدة فنشأت لغة جديدة بسبب هذه العمليات المعقدة. (4)

وقام عدد كبير من الأدباء والشعراء بتأليف الكتب القيمة. ويقرضون الأشعار وأتحفوا المجتمع التاميلي. مكتبة زاخرة يتجمل بها تاريخ تامل نادو. وأصبحت لغة مستقلة ذات حروف خاصة واسلوب رائع وقام بعض العلماء باصلاح لغتها وتهذيبها وفي طليعتهم السيد حافظ أمير أبا و الشيخ سام شهاب الدين واشيخ الإمام العروس وغيرهم. ولكن مع الأسف شديداً – أن البرنغاليين والأنجليز عاقبوا المسلمين في تامل نادو عقاباً شديداً. إن الكتب والمخطوطات ودوين الشعر التي ألفها المسلمون في العربية ولغة "عرب التامل" تزيد على أكثر من خمسة آلاف كتاب ومخطوطة. هناك أكثر من ثلاثة آلاف كتاب باللغة عرب التامل رتبها وجمعها المتحف الحكومي للكتب والوثائق بتشنائي . رتبت حسب المواد والفنون، هذه الكتب خزينة ثمينة كبيرة. ومن الجدير بالذكر أن مؤلفاتهم لم تقتصر على العلوم الشرعية بل صنفوا في كل فن كتباً قيمة. حتى القصص والروايات ، وكما قاموا بترجمة القرآن الكريم والكتب الشرعية إلى اللغة التاميلية ولا شك فإن لهذه الكتب والدواوين دوراً ملحوظاً في إيقاظ الشعور في قلوب المسلمين.

وفي هذه الأيام تلعب الجامعات والكليات العصرية دوراً هاماً في تطوير وتنمية و انتشار اللغة العربية . وأبرزها "الكلية الجديدة" بتشنائي وهي أقدم كليات المسلمين بولاية تامل نادو. فهي تقوم بتهيئة فرص نيل الشهادة للطلبة بمستوى درجة البكالوريوس والماجستير في اللغة العربية وآدابها فضلا عن الماجستير في الفلسفة (يم،فل) و الدكتوراة. المجلس الإداري للكلية الجديدة يستثني طلاب اللغة العربية الذين يدرسون اللغة العربية كمادة الرئيسية من رسوم الدخول و الدراسة تسجيعا للطلبة و لنشر للغة القرآن. وهذه الكلية ملحقة "بجامعة مدراس" (University of Madras). هكذا تقدم جامعة مدراس بدراسات الماجستير في اللغة العربية وآدابها ويم فل ودرجة الدكتوراة . وكذلك كلية "جمال محمد" بترشناقلي وهي ملحقة بجامعة بهارتي داسن (Bharathidasan) توفر فرص تعلم اللغة العربية للطلبة من بكالوريوس إلى درجة الدكتوراة وأكثر من ثلاثمئة طالب يدرسون اللغة العربية كمادة اللغة الأولى (Part I Language) و يبلغ عدد الطلاب الذين يدرسون اللغة العربية كمادة اللغة الأولى. في الكلية الجديدة 750 طالبا (أي يبلغ عدد الذين يدرسون في الكلية الصباحية 350 طالبا و 400 طالبا في الكلية المسائية). وفي كلية "قاضي بشير أحمد سعيد" للبنات بتشنائي أكثر من مائتين طالبة يدرسن اللغة العربية كمادة اللغة الأولى. وبجانب هذا هناك أكثر من خمسين كلية والعديد من الجامعات تقدم اللغة العربية كمادة اللغة العربية الأولى للدراسة. ويمكن القول بأن جميع الكليات التي يديرها المسلمون تقوم بتدريس اللغة العربية إما كمادة رئيسية أو كمادة اللغة الأولى.

وبعد إنتشار الدين الإسلامي أصبحت الولاية ذات صلة قوية بالعرب ولغتهم. لقد اهتم مسلموا الهند بتعلم اللغة العربية أنفسهم وبتعليمها لأولادهم. وكان لها مكان خاص في حياة مسلمي تامل نادو بسبب كونها لسان القرآن الكريم . ونتيجة لهذا الاهتمام أنجبت الهند آلافا من الأدباء البارزين وتركوا آثار كبرى من مؤلفاتهم في اللغة العربية. أدباء و علماء الهند لهم مساهمات كبيرة منذ زمن

بعيد حتى يومنا هذا. فلا أحد ينكر أن لتاريخ الهند وعلى مر العصور أدباء كانت لهم مساهمات كبيرة مشهورة في اللغة العربية. فلا احد ينكر أن لأدباء ولاية تامل نادو عندهم مساهمات كبيرة مثمرة في اللغة العربية.

المصادر والمراجع

1. الشيخ أبو الحسن على الحسين الندوي، المسلمون في الهند ص: 64، 130
2. ثقافة الهند ، المجلد - 55 ، العدد - 4 ، 2004 م
3. مقال بعنوان " العلامة عبد الحميد راوتر - حياته و خدماته لنشر اللغة العربية وآدابها" للأستاذ الدكتور محمد سليمان العمري .ص: 58 و 59 من " تطور اللغة العربية و آدابها في الهند للدكتور عبد القادر (المحرر)
4. ثقافة الهند، المجلد - 57 ، العدد - 2 ، 2006 م ص: 188 و 189